هذه الآية كانت تشتد على الخائفين من العارفين فانها تقتضي
ان من العباد من يبدو له عند لقاء الله مالم يكن يحتسب مثل ان
يكون غافلا عن ما بين يديه معرضا عنه غير ملتزم ولا يحتسب له
فاذا كشف الغطاء عاين تلك الاهوال العظيمة فبدا له مالم يكن في
حسابه ولهذا قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ملأ الارض ذهبا لافتديت
به من هول المطلع وفي الحديث لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد
وان من سعادة المرء ان يطول عمره ويرزقه الله الانابة قال بعض
حكما السلف كم من موقف خزي يوم القيمة لم يخط على بالك قط وظيم
هذا قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد ويشتمل على ما هو اعم من ذلك وهو ان يكون له اعمال
يرجى بها الخير فتصير هباء منثورا وتبدل سيات وقد قال تعالى
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الآية وقال وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الفضيل في هذه الآية وبدا لهم من
الله مالم يكونوا يحتسبون قال اعملوا اعمالا فحسبوا انها حسنات فاذا
هي سيات وقريبا من هذا ان يعمل الانسان ذنبا يحتقره ويستهون
به وهو عند الله عظيم وقال بعض الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق
في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الموبقات واصعب من هذا من زين له سوء عمله فرآه حسنا قال
تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال ابن عيينة لما حضرت
محمد بن المنكدر الوفات جزع فدعوا له ابا حازم فجاء فقال له
ابن المنكدر ان الله يقول وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فاخاف
ان يبدو لي من الله مالم اكن احتسب فجعلا يبكيان جميعا خرجه ابن
ابي حاتم وزاد ابن ابي الدنيا فقالوا له دعونا نأتك لتخفف عليه فزدته
وقال

وقال الفضيل اخبرت عن سليمان التيمي انه قيل له انت انت ومن مثلك
فقال ما لا تقولوا هذا لا ادري ما يبدو لي من الله سمعت الله يقول
وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وكان سفيان الثوري عند
هذه الآية يقول ويل لاهل الرياء من هذه الآية وهذا كما في حديث
الثلاثة الذين اول من تسعر بهم النار العالم والمتصدق والمجاهد
وكذا لمن عمل اعمالا صالحة وكانت عليه مظالم فهو يظن ان اعماله
تنجيه فيبدو له من الله مالم يكن يحتسب فيقتسم الغرماء حسناته
كلها ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سياتهم عليه ثم يطرح في النار
وقد نوقش الحساب فيطالب منه بشكر النعم فاصغرها تستوعب
اعماله كلها وتبقى بقية النعم فيطالب بشكرها فيعذب ولهذا قال
عليه الصلاة والسلام من نوقش الحساب عذب او هلك وقد يكون
له سيات تحبط بعض اعماله واعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل
النار وفي سنن ابن ماجة من رواية ثوبان مرفوعا ان من امتي من يجيء
باعمال امثال الجبال فيجعلها الله هباء منثورا وفيهم قوم
من جلدتكم ويتكلمون بالسنتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون و
لكنهم اذا خلوا بمحارم الله انتهكوها وخرج يعقوب بن شيبة وابن
ابي الدنيا من حديث سالم مولى حذيفة مرفوعا ليجيئن يوم القيمة
اقوام معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيئ بهم جعل
الله اعمالهم هباء ثم اكبهم في النار قال سالم خشيت ان اكون منهم قال
اما انهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيئة من الليل لعلهم
كانوا اذا عرض لهم شيئ من الحرام اخذوه فاحبط الله اعمالهم وقد
يحبط الله العمل بآفة من رياء خفي وعجب به ونحو ذلك ولا يشعر به
صاحبه قال ضيغم العابد ان لم تات الاخرة المؤمن بالسرور لقد
اجتمع عليه هما ن هم الدنيا وشقي الاخرة فقيل له كيف تاتيه الاخرة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)